مفهوم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم
محاولة في الضبط المعرفي

د. حازم محي الدين*

المستخلص

يعدُّ منهج التفسير الموضوعي، بوصفه منهجاً له استقلاله وملامحه الخاصة به، أحد أبرز تجليات العقل التجديدي الإسلامي الحديث في مقاربته للقرآن الكريم، الذي يشكّل المرجعية الدينية والحضارية الكبرى لكل المسلمين في مواجهة المتغيرات التاريخية والفكرية التي يعيشونها منذ بداية العصر الحديث. لكن حداثة الدراسات المعنية بهذا المنهج وتعددها واختلافها، وتفاوتها من حيث العمق والمنهجية أدى إلى شيء من الفوضى الدلالية في المفاهيم المستعملة فيه، وهو أمر ترك أثراً سلبيا على مسيرة هذا المنهج التفسيري المهم، وحال دون ترسيخه وتطويره بالقدر الكافي. ومن هنا سعت هذه الدراسة، مستخدمةً منهجاً وصفياً نقدياً مقارناً، إلى تقديم تعريف علمي منضبط لمفهوم "التفسير الموضوعي"، وإلى استجلاء وضبط أبرز المفاهيم الحاضنة له (علم التفسير، المنهج العلمي، مناهج المفسرين)، ومعالجة بعض أهم القضايا العلمية المرتبطة به (السياق التاريخي والمعرفي، والعوامل التي ساعدت على ظهوره، والأسس والمحددات العلمية له، والفروق بينه وبين التفسير التحليلي/التجزيئي، وأنواعه، وأهميته ومدى الحاجة إليه، والشروط العلمية الضرورية للمشتغلين فيه)، التي تشكِّل في مجموعها صورة مفهومية نسقية متكاملة له، وبالتالي تسهم في إثرائه، وفي ضبط التعامل العلمي معه، وتدفع في نهاية المطاف باتجاه توظيف هذا المنهج بطريقة أكثر علمية وفاعلية تساعد على تحقيق الأهداف والمقاصد المرجوة منه.

الكلمات المفتاحية: التفسير الموضوعي، التفسير التحليلي/التجزيئي، التفسير الكلي للسورة، التفسير الكلي للموضوع القرآني.

*أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث– كلية الشريعة – جامعة دمشق

The concept of "the thematic interpretation of the Quran" Un attempt to an epistemological precision

Hazem Mohyedin*

Abstract

We can consider the thematic method of the Quran, which has its own characteristics, as one of the most important fruits of the modern renewed Islamic reason in his approach to the holy Quran, the most concrete religious and civilized authority for all Muslims in order to face the historical and intellectual changes in which they live in modern age. But it seems that the novelty of the studies concerning to this method and their varieties in terms of their depth and methodology have produced some semantic bewilderment about the key concepts used in it. And this matter casts negative effect on the process of this important method and prevents it from developing and rooting. Hence this paper tried, using a critical, comparative and descriptive methodology to present a new scientific exact definition to the concept of "thematic interpretation", and to explore the most important concepts pertinent to it (as: the interpretation science, the scientific method, the interpretation method), finally to deal with the scientific matters related to it (as: the historical and intellectual context, the factors enabling it to appear, its major markers , the difference between it and the atomic/analytical approach to the Quran, its main kinds, the need for it, and the necessary scientific qualifications for its researchers). All these conditions, as a whole body, constitute integral conceptual systematic picture which would precisely contribute in enriching it, and pushing toward exploiting it in a great scientific effective manner which helps it to achieve its wanted objectives and goals.

Key words: Thematic interpretation, Atomic/analytical interpretation, holistic interpretation of a Surah, holistic interpretation of a Quranic theme.

* Assistant Professor in the Department of Quran and Hadith Sciences - Faculty of Sharia - University of Damascus

المقدمة:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

مشكلة البحث وأهميته: تسعى هذه الدراسة إلى تحديد دقيق لمفهوم "التفسير الموضوعي" الذي دخل إلى المجال التداولي الإسلامي في العصر الحديث. إذ إنه على الرغم من الجهود العلمية الكثيرة والمهمة التي بُذلت في سبيل توضيحه، وبيان معالمه وقضاياه، فإن الباحث يرى أنّ هذا المفهوم ما زال يحتاج إلى مزيد من الحفر والتعميق والضبط حتى تزداد هويته المعرفية وضوحاً ودقة، وبالتالي تزداد الفرصة أمامه بوصفه منهجاً جديداً في تفسير القرآن الكريم، للنهوض بالدور المعرفي المهم المنوط به في ساحة العقل الإسلامي الحديث بشكل عام، وللقيام بالدور المنتظر منه في تجديد وإغناء المقاربات المعاصرة لفهم القرآن الكريم وتفسيره بشكل خاص. وبالنظر لأن الهدف من هذه الدراسة هو الإسهام في الضبط المعرفي لمفهوم "التفسير الموضوعي"، فقد عمد الباحث _ بعد دراسة السياق التاريخي لولادة هذا المنهج، والإشارة إلى أهم العوامل التي ساعدت على ظهوره_ إلى التعريف بأبرز المصطلحات الحاضنة له، أي "علم التفسير"، "المنهج العلمي"، "منهج التفسير"، حتى يتنزل هذا المفهوم الجديد في إطاره المفاهيمي والاصطلاحي الذي يشتغل من خلاله. وحتى تكتمل الصورة المفهومية للتفسير الموضوعي كان لا بدّ من عرض محدداته العامة، وأسسه ومنطلقاته المعرفية، وأنواعه، والفروق بينه وبين التفسير التجزيئي، والإشارة إلى أهميته، ومدى الحاجة إليه في العصر الحديث، والإشارة في خاتمة المطاف، إلى الشروط والمؤهلات العلمية الضرورية للمشتغلين في حقل "التفسير الموضوعي" حتى يتمكنوا من الاستجابة إلى مقتضياته، وتنزيله إلى واقع البحث العلمي الرصين والجاد.

منهج البحث: اعتمد البحثُ المنهجَ الوصفي لدراسة مفهوم التفسير الموضوعي ومعالجة أبرز الجوانب والمسائل العلمية المتعلقة به التي تسهم في تحديد صورته المفهومية بشكل

منضبط، مستخدما أدوات التحليل والنقد والمقارنة والتقويم مع اقتراح البدائل الضرورية عند الحاجة.

الدراسات السابقة: توجد دراسات عديدة تناولت مفهوم التفسير الموضوعي، وتطرقت إلى معالجة بعض جوانبه العلمية، نذكر منها:

_"منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، زياد خليل الدغامين، عمّان، 1995م.

_"التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق"، صلاح عبد الفتاح الخالدي، عمّان، 1997م.

_ كتاب "التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقاً"، أحمد رحماني، باتنة، الجزائر، 1998م.

_ "منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية"، سامر رشواني، حلب، 2009م.

_ المؤتمر العلمي الذي عقدته كلية الشريعة في جامعة الشارقة بعنوان: "التفسير الموضوعي: واقع وآفاق"، عام 2010م.

على الرغم من القيمة العلمية لهذه الدراسات، وعمق بعضها على المستوى المنهجي، إلا أن فيها بعض القصور فيما يتعلق بدراسة مفهوم التفسير الموضوعي، من حيث الشمول، والدقة في اختيار حدود التعريف، فضلاً عن إهمال دراسة بعض الجوانب الضرورية لاستجلاء هذا المفهوم. في حين أن هذا البحث يسعى إلى معالجة مفهوم التفسير الموضوعي ضمن رؤية شاملة متكاملة، تشمل المفهوم وقسميه الرئيسين، وأهم ما يتعلق به من قضايا في نسق علمي منضبط.

المطلب الأول: السياق التاريخي والفكري لولادة "التفسير الموضوعي"

شهد العالم الإسلامي، في العصر الحديث، أي منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى بداية السبعينات من القرن العشرين تقريباً، ظهور أولى محاولات التجديد في ميدان تفسير القرآن الكريم، على مستوى المضمون والمنهج، بنسبٍ متفاوتة بحسب المفسرين وتكوينهم العلمي، وخلفياتهم المعرفية، واختياراتهم المنهجية، وذلك بسبب تغيّر السياق التاريخي والثقافي للعالم الإسلامي في هذه المرحلة المليئة بالمتغيّرات التاريخية الحاسمة، التي نذكر منها: انهيار

الدولـة العثمانيـة، وتـدفق الاسـتعمار الغربـي فـي أنحـاء العـالم الإسـلامي، وولادة المشـروع الصـهيوني فـي فلسـطين، ومرحلـة التحـرّر والاسـتقلال السياسـي، وظهـور الـدول الوطنيـة، ومحـاولات تبنّـي النمـاذج الليبراليـة الغربيـة، أو الاشـتراكية الماركسـية، فـي الفكـر والسياسـة والمجتمـع، وبنـاء الدولـة؛ فضـلاً عـن ظهـور تحـولات ثقافيـة مـؤثرة تمثّلـت بشـكل رئـيس فـي ظهور حركات الإصلاح والتجديد الديني، والفكري، والاجتماعي، والسياسي في أنحاء عديدة في العالم الإسلامي؛ والانفتاح على الغرب الثقافي والسياسي، وتراكم الإنجازات والمكتسبات المعرفيـة فـي جميـع ميـادين العلـم والفكـر، ولاسـيما فـي ميـدان اللغويـات والعلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، وظهـور المـذاهب الفلسـفية والإيديولوجيـة والنظريـات الفكريـة فـي كـل مجـالات المعرفـة الإنسـانية التـي شكّلت بالنسـبة للمسـلم المعاصـر تحـدياً كبيـراً كـاد يعصـف بإيمانـه بدينه، وبقدرة هذا الدين على مواكبة التطورات الحديثة، والإجابة عن كل الأسئلة والتحديات المطروحة.

كلُّ هـذه المتغيـرات التاريخيـة، والإنجـازات والتطـورات المعرفيـة تركـت أثـراً عميقـاً، فـي بنيـة المجتمعات الإسلامية، وأحوالها، وهمومها، ومشكلاتها السياسية، والاجتماعية، والثقافية من جهة، وأرغمت النخب السياسية والعلمية فيها على التأثر بها، والتفاعل معها بطرق متعددة، من جهة أخرى. في خضم هذا السياق التاريخي والمعرفي المعقّد، كان القرآن الكريم يقع في بؤرة الاهتمـام المعرفـي والإيـديولوجي للكثيـر مـن الفرقـاء والفـاعلين الاجتمـاعيين والتـاريخيين، الذين وجدوا فيه المصدر المعرفي، الذي يبنون من خلاله مشاريعهم الإصلاحية، ويكتسبون منه المشروعية الدينية والمعرفية والتاريخية، والقدرة على التأثير في النُخب الفكرية، والقواعد الشعبية على السواء، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فقد تشوّف العديد من العلماء والمثقفين المسـلمين إلـى التفاعـل مـع المسـتجدات المعرفيـة والمنهجيـة، ومحـاولـة استكشـاف إمكانـات الاستفادة منها، وتطويعها في سبيل خدمة القرآن الكريم، ومناهج استمداد معانيه، حتى يكون القرآن الكريم، بوصفه المرجعية الكبرى للإسلام، قادراً على تلبية حاجات المسلمين المتجددة،

وأشواقهم الحضارية المشروعة، وقادراً على مواجهة كلّ الأسئلة والتحديات، التي تفرضها الأزمنة الحديثة بكلّ حمولتها التاريخية والمعرفية.

ولما كانت المقاربات القديمة للقرآن الكريم، على الرغم من رسوخ واستمرار قيمتها المعرفية والدينية الكبيرة التي لا يمكن لأحد أن ينتقص منها أو يتجاهل الثروة العلمية والمنهجية التي نتجت عنها، لا تكفي لوحدها للاضطلاع بمهمة إعادة تفسير القرآن الكريم في السياق التاريخي الحديث، نظراً لاعتمادها في الغالب[1]، على منهجية تقوم على تجزئة النص، لا تسعى لتقديم رؤية كليّة موحَّدة لمعانيه وموضوعاته ومفاهيمه دفعة واحدة، فضلاً عن جعل التفسير، في الغالب، أسير التخصصات العلمية المتبجِّرة للمفسرين، الأمر الذي قلّل، مع عوامل أخرى كثيرة، من قوة التأثير المباشر الذي يمارسه القرآن الكريم في حياة المسلم وتفكيره في العصر الحديث؛ لذلك كان لا بدّ عندئذ من ظهور محاولات رائدة تسعى إلى تجديد العلاقة مع القرآن الكريم على مستوى الشكل والمضمون والمنهج.

وفي هذا السياق التجديدي ظهرت أولى المحاولات المنهجية والمعرفية في "التفسير الموضوعي"[2] على أملٍ أن يتمكّن المسلمون عن طريقه من تأسيس منهجية تسهم في إظهار الوحدة النصية والموضوعية للقرآن الكريم، وبذلك تجتهد قدر الإمكان في الوصول إلى المزيد من معانيه الحكيمة، وتقف في وجه التعسف الحديث في فهمه وتوظيفه في خدمة هذا المشروع أو ذاك[3]؛ وتسهم قدر الإمكان، في تمكين المسلمين في العصر الحديث من

---

1 دون أن ننسى في هذا السياق الإشارة إلى الجهود العلمية الكبيرة التي بذلها علماء التفسير الذين عنوا بتفسير آيات الأحكام (مثل الجصاص الحنفي والقاضي ابن العربي المالكي)، حيث يمكن النظر إلى تفاسيرهم تلك على أنها خطوة علمية أساسية على طريق التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. هذا فضلا عن أن جهود الفقهاء العلمية كانت تسير وفق المنهجية الموضوعية الكلية، ولذلك يمكن النظر إلى مؤلفات هؤلاء الفقهاء بوصفها النموذج العلمي الأول الذي احتذاه رواد التفسير الموضوعي.

2 على يد رواد أعلام مثل: حميد الدين الفراهي، محمد عبد الله دراز، محمود شلتوت، أمين الخولي، بنت الشاطئ، السيد محمد باقر الصدر، محمد عزة دروزة، فضل الرحمن، محمد محمود حجازي، محمد الغزالي.

3 بالتكامل والاستفادة بطبيعة الحال من الجهود العلمية والمنهجية القيمة التي بذلها كبار علماء التفسير قديما وحديثاً من أصحاب المنهجية التحليلية في التفسير (مثل شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، ومحمد الطاهر ابن عاشور) على طريق

الوصول إلى المفاهيم، والمبادئ، والمقاصد، والأنساق الفكرية القرآنية الكلية التي يمكن أن تساعد المسلم المعاصر على تعزيز صلته بدينه من خلال فهم علمي لحقائق القرآن الكريم، ومفاهيمه، ومقاصده، وأنساقه الكلية الكبرى، وعلى أمل أن يساعد هذا التفسيرُ المسلمَ على الإجابة عن قضايا عصره، وأسئلته الفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في ضوء هدي القرآن الكريم.

وبذلك يمكن أن تعود للمسلم طمأنينته وثقته بدينه ومشروعه الحضاري، ويستأنف من جديد دوره التاريخي والحضاري في العالم الحديث.

المطلب الثاني: العوامل المساعدة على نمو التفسير الموضوعي وانتشاره

يمكن أن نذكر من بين العوامل الثانوية التي ساعدت على نمو التفسير الموضوعي و انتشاره، واشتداد الحاجة له، ما يلي:

- انتشار التعليم ومؤسساته الحديثة، ووسائل الإعلام، الأمر الذي أسهم في توسيع جمهور القادرين على القراءة، وتلقي العلم، ولكن في الوقت نفسه كان معظم هؤلاء القرَّاء غير قادرين على التفاعل والاستفادة من كتب التفسير القديمة بسبب تبحرها العلمي، وتوسعها في علوم كثيرة (علم الكلام، أصول الفقه، الفقه، علوم اللغة والبلاغة، ...)، وتوسُّع معظم أصحابها في استعمال مصطلحات العلوم والفنون المتخصصة، التي لا يُحسن المتخرّجون من مؤسسات التعليم الحديثة استيعابها بشكل دقيق، بسبب عدم اعتناء هذه المؤسسات بالتكوين المعرفي اللازم لخريجيها للإفادة من هذه الموسوعات التفسيرية.

استكشاف دلالات النص القرآني، وتحصينها بشكل منهجي من أن تمتد إليها يد العبث والتحريف والتأويل الفاسد. مع ضرورة الإشارة هنا إلى إمكانية توظيف التفسير الموضوعي ومنهجيته العلمية بطريقة سطحية وملتوية وفاسدة أيضاً، شأنه في ذلك شأن أي منهج آخر، لأن استخدام أي منهج علمي يبقى ضمن حدود الطاقة البشرية، ويقبل التلون بألوان أصحابه وميولهم.

- ظهور الشخصيات والتيارات الدينية والدعوية التي أرادت جمع الأنصار من حولها، وسَعَت بشكل حثيث لنشر دعوتها بين عموم أبناء المجتمع من أبناء المرجعيات الفكرية المختلفة والمتنوعة. لذلك كانت تلك الشخصيات والتيارات بحاجة إلى خطاب ديني سهل وحديث يتناسب مع القدرة العلمية لمن يخاطبونهم، فضلاً عن ملائمته لتنوع مجالات اهتماماتهم، ومتناسباً مع حاجتهم إلى معرفة أفكار الإسلام ونظرياته الكبرى بشكل واضح ومباشر ليتمكنوا من مقارنتها مع نظريات العصر الفكرية والإيديولوجية[1].

- طبيعة العصر الثقافية التي اتسمت بالروح الفلسفية التي لا تكتفي بالنظرة التحليلية والتجزيئية للظواهر المدروسة بل تسعى للفهم الكلي للظواهر والقضايا التي تعالجها، واكتشاف قوانين اشتغالها وتكوّنها، وهذا السعي ينسجم مع الطبيعة الكلية للتفسير الموضوعي.

- ظهور مجموعة من الكتابات الاستشراقية التي اتهمت القرآن الكريم _ظلماً وزوراً _ بالفوضى والغموض، وزعمت أن القرآن الكريم نصٌّ جامع لمواضيع مفككة غير متجانسة ولا متماسكة[2]، الأمر الذي دفع بعضهَم للقول بأن القرآن الكريم من تأليف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كُتب في مرحلة لاحقة من قِبَل أكثر من جهة، وغير ذلك من الافتراءات، كما ذهب إلى ذلك جون وانسبرو، ومايكل كوك، وباتريسيا كرون[3]، فجاء التفسير الموضوعي، في أحد قسميه

[11] See, article "Tafsīr", by Mustansir Mir, in **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World**, 4/174-175.

[2] See, Mustansir Mir**, Coherence in the Quran: A Study of Islahi's Concept of Nazm in Tadabbur-I Quran**, p2. Marco Schöller , **Post-Enlightenment Academic Study of the Quran,** , in Encyclopaedia of the Quran, 4/196-208.

[3] لمعرفة أفكار هؤلاء المستشرقين الثلاثة، ومناقشتها، انظر:

Neal Robinson, **Discovering The Quran: A contemporary Approach To A Veiled Text**, pp 47_59.

الأساسيين، للرد العلمي على هذه المزاعم والافتراءات، واجتهد في استجلاء وبيان الوحدة النصية والموضوعية المتينة التي يمتلكها القرآن الكريم في كافة وحداته النصية.

- الاهتمام المبكر نسبيا للجامعات العربية بالتفسير الموضوعي[1]، وإدراج هذا النوع في برامجها التعليمية، وبشكل خاص في الدراسات العليا.

المطلب الثالث: المحدّدات العامة لـ "التفسير الموضوعي":

إن المحدّدات العامة لـ "التفسير الموضوعي" التي تضبط الصورة العامة له تتمثَّل في النقاط التالية:

_هو منهج حديث النشأة، له جذور تراثية استثمرها العلماء والباحثون المعاصرون في بناء هذا العلم وتأصيله[2].

_ التسليم بأنه منهج حديث النشأة يعني أنه لم تستقر ملامحه العامة بشكل محسوم، ومازال حتى اليوم موضع اختلاف الأنظار والاجتهادات من قبل الباحثين المعنيين به من حيث المفاهيم ومناهج البحث على أقل تقدير. لذلك يمكن لنا أن نقول بأن هذا العلم لم ينضج بعدُ، ولم يحترق بطبيعة الحال، وما زال ينتظر الكثير

وانظر، آمنة الجبلاوي، **الاستشراق الأنجلوسكسوني الجديد، مقالة في الإسلام "المبكر": باتريسيا كرون ومايكل كوك أنموذجاً**، 31_59. ومحمد الهادي الطاهري، **أضواء على النص القرآني**، 44_46.

[1] بدأت جامعة الأزهر بالاهتمام بالتفسير الموضوعي منذ نهاية ستينات القرن الماضي، ويمكن الإشارة إلى أن أول رسالة جامعية تخصصت به، كانت رسالة محمد محمود حجازي للدكتوراه التي حملت عنوان "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم" التي تقدم بها إلى كلية أصول الدين في الأزهر عام 1967، وقد نشرت الطبعة الأولى منها عام 1970م.

[2] يمكن التماس هذه الجهود العلمية التراثية في جهود الجاحظ، الباقلاني، الجرجاني، ابن رشد، الفخر الرازي، ابن تيمية، الشاطبي، برهان الدين البقاعي. انظر، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، زياد خليل الدغامين، 16_21؛ **التفسير الموضوعي: نظرية وتطبيقاً**، أحمد رحماني، 104_ 122؛ **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية**، سامر رشواني، 74_99، 252_ 280.

من الجهود العلمية، والكثير من الحوار والنقاش حول قضاياه النظرية والتطبيقية حتى يستوي على سُوقه، وتتكامل شخصيته العلمية المستقلة[1].

_هو منهج عابرٌ للمذاهب الإسلامية لأن علماء هذه المذاهب شاركوا جميعاً بنسَب متقاربة في تشييد بنيان هذا المنهج الجديد.

_ هو منهج عابرٌ للتخصصات العلمية الضيقة، إذ هو على الرغم من انتمائه إلى علم التفسير، ورسوخ قدمه فيه، واحتياجه إلى كل العلوم الشرعية واللغوية التي يحتاجها هذا العلم، فإنّ التفسير الموضوعي يحتاج للوصول إلى غايته إلى معرفة الواقع المعاصر فضلاً عن حاجته إلى بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة التي تساعده في إنجاز هذه المعرفة، وفي دراسة الوحدة النصية والموضوعية للقرآن الكريم.

المطلب الرابع: المنطلقات المعرفية للتفسير الموضوعي

1. الإيمان بأن القرآن الكريم كتابُ هداية وتغيير نحو الأقوم، وقد نزل مواكباً لحركة تبليغ الرسالة الإسلامية على امتداد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقام بالاستجابة لكل حاجات ومتطلبات الدعوة الإسلامية، وحلّ المشكلات التي واجهتها بشكل كامل وناجز، فلم يترك قضيةً ولا موضوعاً إلا قام باستيفاء عناصره وربطه بالمقصد الأعلى للقرآن الكريم (الهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور) في كافة المجالات، وعلى كافة الصُعد. {قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} المائدة، 15_16.

2. الإيمان بتكامل القضايا والموضوعات المعالجة على امتداد القرآن الكريم، أي الإيمان بالوحدة الموضوعية المتماسكة في كامل القرآن الكريم. {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء،82.

[1] قارن بـ: **التفسير الموضوعي: نظرية وتطبيقاً**، أحمد رحماني، 203.

3. الإيمان بالوحدة النصيّة للقرآن الكريم في كل مستوياته، بناءً على أن ترتيب الآيات في داخل كل سورة، وكذلك ترتيب السور في المصحف الشريف هو ترتيب توقيفي، يجب استخراج حِكمه ودلالاته[1].

المطلب الخامس: الإطار المفهومي "للتفسير الموضوعي":

لكل علمٍ مفاهيمُه الأساسية التي تشكّل الركن الرئيس في عملية تشييد هذا العلم، والتي تضبط بنيته المعرفية، وتفتح آفاق النمو والتطور أمامه.

وأيُّ خلل يصيب هذه المفاهيم يرتدُّ أثره بالضرورة على المعمار المعرفي لهذا العلم بهذه النسبة أو تلك، حسب الخلل الذي أصاب مفاهيمه. ومن أبرز جوانب الخلل التي يمكن أن تتسرب إلى هذه المفاهيم هو الغموض والإبهام، أو على الأقل غياب الوضوح الدلالي الدقيق الذي قد يكتنفها، والذي يؤدي في الغالب إلى اختلاط مدلولاتها فيما بينها، فيفقد كلٌ مفهوم معناه الأساسي، ويتداخل هذا المعنى مع معاني المفاهيم الأخرى، وبالتالي تفقد المفاهيم قدرتها ودورها في ضبط المجال المنهجي في العلم الذي تنتمي إليه.

في ضوء ما تقدّم يمكن القول بأن المقاربة المنهجية لـمفهوم "التفسير الموضوعي" تنطلق أساساً من مرحلة التحديد الدقيق للحدود الدلالية لأهم المفاهيم الناظمة له، والتي تشكِّل الإطار المفاهيمي الذي يعمل من خلاله، والضابطة لآليات الاشتغال في البحث عن المعنى في القرآن الكريم بشكل عام. ولعل أهم هذه المفاهيم هو: علم التفسير، المنهج العلمي، مناهج المفسرين. ومن ثم ننتقل بعد ذلك إلى مفهوم "التفسير الموضوعي" وما يتعلّق به.

أولاً: علم التفسير:

ـ مفهوم التفسير في اللغة: كلمة "تفسير" على وزن تفعيل، وفعله الماضي ثلاثي مضعّف بالتشديد (فسّر)، أصله فسَر. الجذر الثلاثي للكلمة هو الفاء والسين والراء، أي الفسْر، تدلّ هذه المادة اللغوية والكلمات المشتقة منها، في الاستعمال العربي على الكشف والبيان.

[1] انظر، **إمعان النظر في ترتيب الآي والسور**، محمد عناية الله أسد سبحاني، 67_81،

والفسْر مقلوب السَّفْر، تقول أسفر الصبح إذا أضاء {والصبح إذا أسفر} المدثِّر 34، والسّفْر كشف مادي ظاهر، والفَسْر كشف معنوي باطني.

يقول ابن فارس (ت 395هـ): " فسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه "[1]. ويقول الراغب الأصفهاني (ت 502هـ): "الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جُعل الفسر لإظهار المعنى المعقول.. وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح"[2]. ويقول ابن منظور (ت 711هـ): "الفسْر: البيان.. فسر الشيء يفسره.. أبانه... الفسْر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"[3]. ويقول أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ) : "التفسير: الاستبانة والكشف، والعبارة عن الشيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل... قال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لبْس وخفاء، فيُؤتى بما يُزيله ويفسِّره .."[4] .

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ كلمة "تفسير" لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} الفرقان 33، كما يقول ابن كثير في تفسيره: "{ولا يأتونك بمثَل} أي: بحجة وشبهة {إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} أي: ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم"[5]. وهكذا فإن معنى كلمة "تفسير" في هذه الآية الكريمة يطابق معناها اللغوي أي: البيان والوضوح المزيل للشُبَه.

---

[1] **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، 504/4.

[2] **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، 636.

[3] **لسان العرب**، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، 55/5 .

[4] **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، 260/1.

[5] **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، 109/6.

إذاً فإن المعنى المراد بـ "التفسير" من حيث اللغة، وفي القرآن الكريم هو: **الكشف والإيضاح والبيان لأي كلام أو نصٍ فيه شيءٌ من الغموض** لسببٍ من الأسباب يستدعي هذا الكشف والبيان، كأن يكون النصُّ موجزاً ذا طبقة عالية من البلاغة يحتوي على معانٍ كثيرة، تحتاج إلى استخراج وتفصيل، ومنها احتمال ألفاظه وتراكيبه لوجوه عديدة من المعاني[1].

أما عندما نُضيف كلمة "التفسير" إلى القرآن الكريم، ونحصل على المركب الإضافي، "تفسير القرآن"، فإنه يصبح لكلمة تفسير دلالةٌ خاصة تتناسب مع كلمة القرآن التي أضيفت إليها، لأن علاقة الإضافة علاقة تحديد واختصاص بين المتضايفين.

وعليه يصبح المعنى الرئيس لعبارة "تفسير القرآن"، هو: **الكشف والبيان عن المعاني المودَعة في نَصِّ القرآن الكريم.** هذا هو المعنى المتفق على جوهره عند عامة العلماء، ولكن دخل على هذا التعريف عند أهل الاختصاص بعضُ الزيادات لتوافق الفهم الخاص لعملية التفسير، وأدواتها عند كلِّ عالمٍ قدّم تعريفاً لعلم التفسير.

ـ تعريف "علم التفسير" عند العلماء: عرّف أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) علم التفسير بقوله: "علم يُبحَث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمَل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك"[2]. ويقصد بالتتمات علوم أخرى مثل: الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول التي تساعد على فهم ما انبهم من معاني القرآن الكريم.

وعرّفه الزركشي (ت 794هـ) بقوله: "علمٌ يُفهم به كتابُ الله تعالى المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامه وحِكَمه، واستمدادُ ذلك من علم اللغة

[1] انظر، **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 13/1.

[2] **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، 26/1.

والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"[1].

نلاحظ أن هذين التعريفين يركزان على أمرين، أولهما: جوهر عملية التفسير أي فهم مراد الله من كلامه في القرآن الكريم، وثانيهما: الإشارة إلى أهم الأدوات المعينة على القيام بعملية التفسير، من قبيل: اللغة والنحو والبلاغة، وعلوم القرآن.

وفي العصر الحديث عرّفه محمد علي سلامة (ت 1942م) بقوله: "علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية"[2].

وعرّفه عبد العظيم الزرقاني (ت 1948م) بتعريف يكاد يكون مطابقا للتعريف السابق: "علمٌ يُبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالتُه على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[3].

نلاحظ من هذين التعريفين المعاصرين أنها يقتصران على الإشارة إلى ماهية علم التفسير العامة المتمثلة بالبحث عن مراد الله تعالى من كلامه حسب الطاقة الإنسانية.

وفي ضوء ما سبق، مع ضرورة الانتباه إلى أن مفهوم العلم لا يتحقق دون أصول وقواعد يتم التعامل معها بصورة منهجية، يمكن لنا أن نقترح التعريف التالي لـ **علم التفسير**:

" جملة الأصول والقواعد التي يؤدي استثمارها بطريقة منهجية إلى الكشف عن مُراد الله تعالى من كلامه في القرآن الكريم، حسب الطاقة الإنسانية".

أي هو علم يتمتع بكل ما تقوم به العلوم الأخرى من دقة وضبط وأصول وقواعد ومناهج خاصة به للوصول إلى تحقيق غايته أي الكشف عن مراد الله تعالى المودع في معاني كلامه في القرآن الكريم. وقيد "حسب الطاقة الإنسانية" ضروري جداً لأنه يشير إلى بشرية عمل المفسِّر، ومحدوديته المعرفية، ومشروطيته التاريخية التي لا يمكن له أن يتجاوزها،

---

[1] **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، 13/1.

[2] **منهج الفرقان في علوم القرآن**، محمد علي سلامة، تحقيق محمد سيد أحمد المسير، ط2، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2004، 6.

[3] **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُرْقاني، ط3، القاهرة، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 3/2.

فضلاً عن أن هذا القيد ينسجم مع ثراء المعنى في القرآن الكريم، وتجدُّده المستمر. وهذا يعني أن الكلمة الأخيرة في فهم مراد الله سبحانه تبقى رهاناً مفتوحاً أمام العقل البشري، كلما يجتهد أكثر، ويجدد أدواته المعرفية والمنهجية، يجد المزيد من المعاني القرآنية التي لا تنضب مصداقاً لقوله تعالى:

{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} الكهف، 109. {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} لقمان، 27.

ثانياً: المنهج العلمي:

يتألف كل علم أو فرع علمي من مادةٍ ومنهاجٍ، المادة هي الظواهر التي يتناولها العلم بالتحليل، أما المنهج فهو الخطوات والطريقة التي يعتمد عليها الباحث في عمله للتعرُّف على حقيقة الظواهر المدروسة، واكتشاف قوانينها الداخلية اعتماداً على عددٍ من القواعد والأصول والحقائق العلمية. وتوجد علاقة وثيقة بين المادة المدروسة ومنهج دراستها، إذ إن المادة هي التي تفرض نوعاً محدداً من المناهج العلمية التي تنسجم مع طبيعتها وكينونتها، وتساعد على معرفة الحقائق فيها. لذلك يمكن القول بوجود علوم طبيعية تتألف من ظواهر طبيعية ومناهج طبيعية، وعلوم اجتماعية، تتألف من ظواهر اجتماعية ومناهج اجتماعية، وعلوم لغوية تتألف من ظواهر لغوية ومناهج لغوية، وهكذا...

_ تعريف المنهج لغةً: يعني المنهج في اللغة: الطريق الواضح، ونهجَ الطريق بمعنى أبانه، وأوضحه، ونهجه بمعنى سلكه بوضوح واستبانة[1].

وعليه فالمنهج هو: الطريق الواضح البيّن للوصول إلى الهدف المنشود. أو الطريق الأقصر والأسلم للوصول إلى هدف ما. أو الطريق الواضح والدقيق والأقصر الذي يوصل الإنسان من نقطة إلى أخرى.

[1] **لسان العرب**، ابن منظور، 383/2.

_ مفهوم "المنهج" في البحث العلمي: أما مفهوم المنهج بالمعنى الاصطلاحي المستعمل في البحث العلمي فيمكن تعريفه على النحو التالي: "الطريق الفكري المنظم المؤدي إلى الكشف إما عن حقيقةٍ مدعومة بالأدلة والبراهين، أو إيجاد حلٍّ لمشكلة، أو تقديم تفسيرٍ لظاهرة، أو اكتشاف لقانون علمي في فرع من فروع المعرفة، بواسطة طائفة من الأصول والقواعد العلمية الكليّة التي يلتزم بها الباحث في كل مراحل بحثه حتى يصل إلى هدفه **النهائي**"[1]. إذاً لا بدّ في المنهج العلمي من وجود مجموعة من الأصول والقواعد العلمية التي يستعين بها الباحث حتى يصل إلى حلّ مشكلة بحثه والإجابة عن أسئلتها.

ثالثاً: مناهج المفسرين:

يحتل منهج التفسير المكانة المحورية في عملية التفسير، بل هو العمود الفقري لها إذ من دونه لا يوجد عمل تفسيري يستحق الوصف بأنه علمي، بل سيكون مجرد تأملات وملاحظات ذاتية مستوحاة من القرآن الكريم دون ضوابط وقواعد وأصول تحمي المفسِّر من الخطأ والانحراف، وتقرِّبه من الصواب قدر الإمكان إذا اختار المنهج المنسجم مع طبيعة النص القرآني، مع سلامة القصد والاجتهاد في العمل. وللتأكيد على ضرورة المنهج رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذّر المسلمين من التعامل مع القرآن الكريم دون استناد إلى منهج صحيح عندما قال: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)[2]، أي منْ جعل ذاته وفكره وعقله أساس العمل التفسيري فقط ، وجذب النص إلى منطقة مصالحه ومشاريعه الخاصة، وأصبح القرآن الكريم على يديه تابعاً لا متبوعاً كما ينبغي له أن يكون، حسب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

---

[1] قارن ب، **مناهج البحث العلمي**، عبد الرحمن بدوي، 3_ 5. **في مناهج البحث العلمي وأساليبه**، سامي عريفج، خالد مصلح، مفيد حواشين، 32_34.

[2] أخرجه الترمذي في **سننه**، محمد بن عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم الحديث: 2952، وقال عنه: هذا حديث غريب. وقد روى الترمذي في الباب نفسه، رقم الحديث: 2950، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الحجرات، 1 فقد أخطأ الطريقَ المطلوب لفهم القرآن الكريم، حتى لو أصاب في هذا الرأي أو ذاك، لأنه بعمله هذا لا يملك ضمانة ثابتة للوصول إلى الفهم السليم للقرآن الكريم بشكل دائم ومستمر، وهذا الأمر لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق استثمار مصادر وأدوات وأصول وقواعد علمية ضرورية[1] وفق خطوات علمية متدرجة للوصول إلى المعنى، وهذا ما ندعوه اليوم بالمنهج العلمي.

وهكذا فإنه في ضوء فهمنا لمفهوم التفسير، ومفهوم المنهج العلمي، يمكن القول بأن **منهج التفسير** هو: "**الخطوات العلمية المنظّمة المتَّبعة للكشف عن مراد الله تعالى المودع في كلامه في القرآن الكريم باستثمار مصادر وأدوات وأصول وقواعد علمية محددة، حسب الطاقة الإنسانية**".

هذا من حيث الشكل أما من حيث المضمون فكل منهج يتلوَّن بحسب المصادر والأدوات والأصول التي يعتمد عليها المفسّر، وبحسب طريقة تعامله مع كل مصدر، وبحسب ثقافة المفسِّر وتكوينه العلمي، وسياق عصره الذي يعيش فيه، وبحسب المذهب الذي ينتمي إليه، وأخيراً بحسب المقصد الرئيس الذي يتوخاه من وراء عمله التفسيري،[2] لذلك فقد نجد منهجاً تفسيرياً واحداً يستخدمه عددٌ من المفسرين، ولكن مُخرجَاته العلمية تختلف اختلافاً واضحاً بين هؤلاء المفسرين، على الرغم من اتفاقهم في اتباع الخطوات المنهجية نفسها. ومن هنا

---

[1] نقصد **بمصادر التفسير**: المصادر العلمية التي قد يستند إليها المفسِّر في عمله، من قبيل القرآن الكريم، السنة النبوية، السيرة النبوية، أقوال الصحابة والتابعين، اللغة والأدب العربي في عصر التنزيل؛ ونقصد **بأدوات التفسير**: العلوم التي قد يستخدمها المفسِّر في عمله، مثل: أسباب النزول، المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ...؛ ونقصد **بقواعد التفسير**: القواعد الكلية التي يعتمد عليها كل مفسِّر، مثل: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كلُّ عام يبقى على عمومه حتى ما يأتي ما يخصصه..؛ ونقصد **بأصول التفسير**: الأصول المنهجية العامة التي يؤمن بها المفسِّر من الناحية العلمية، ويُلزم نفسه الأخذ بمقتضياتها في أثناء عمله التفسيري، من قبيل: تفسير القرآن بالقرآن، والأخذ بمبدأ وحدة السورة، والوحدة الموضوعية والنصية للسورة، ومراعاة المعهود اللغوي والثقافي العربي في عصر التنزيل، والأخذ بمبدأ الانسجام مع مقاصد القرآن الكلية والثابتة، ومراعاة السنن الإلهية.

2 انظر في هذا الصدد ما قاله أمين الخولي في كتابه "**مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**"، أثناء حديثه عن ألوان التفسير، 223_226.

ظهر مصطلح **مناهج المفسرين** ليعبّر لنا عن منهج كل مفسِّر، ومدى خصوصيته فيه. وبهذا يمكن القول بأن **منهج المفسِّر** هو: "**المنهج التفسيري المصطبِغ بصبغة معرفية وسياقية ومقصدية خاصة بالمفسِّر، تُكيّف عملَه، وتحكُم طريقة تعامله مع كل مصادره وأدواته وأصوله، وتؤثِّر في مُخرجاته التفسيرية**".

وهكذا يجب التذكير مجدداً بأن العمل التفسيري على الرغم من كل محدِّداته الموضوعية والخارجية يبقى جهداً إنسانياً محدوداً بتكوين المفسِّر الديني والعلمي والفكري والمذهبي، وبسياق عصره الذي يعيش ويتفاعل مع أفقه المعرفي وقضاياه ومشكلاته التاريخية.

رابعاً: مفهوم التفسير الموضوعي:

اجتهد بعض العلماء والباحثين في العصر الحديث في تقديم محاولات على طريق الضبط المفهومي لمصطلح التفسير الموضوعي، وفي هذا السياق قدّموا مجموعةً من التعاريف المتنوعة والمختلفة في اعتباراتها ومقاصدها، ومدى استيعابها لعناصر التفسير الموضوعي وأنواعه، مع تفاوت بينهم أيضا في الدقة والاختصار والوضوح، وهي أمور ضرورية لأي تعريف.

ويمكن لنا أن نصنِّف هذه التعاريف من حيث الجهة التي ركزت عليها، حيث نجد مجموعة منها تركز على موضوع هذا التفسير والخطوات المتبعة فيه، وعلى الغاية منه، في الوقت نفسه، مثل:

_ عبد المتعال الجبري: "أن تُجمع الآيات التي في الموضوع[1] الواحد، ولو كانت في سور شتى، وتؤخذ منها العبرة"[2].

---

[1] قبل الحديث عن مفهوم "التفسير الموضوعي"، لا بد من الإشارة إلى أن المقصود بـ "الموضوع" في هذا المصطلح هو، حسب عبد الستار فتح الله السعيد: "القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة". **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، عبد الستار فتح الله السعيد، 20. ويمكن القول أيضاً بأن الموضوع هو: الفكرة/القضية الكلية الواحدة التي يعرضها القرآن الكريم، سواء من خلال آيات سورة واحدة، أم من خلال آيات متفرقة في أكثر من سورة.

[2] **الضالون كما صورهم القرآن الكريم**، عبد المتعال الجبري، 286.

_ عبد الستار فتح الله السعيد: "علمٌ يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع"[1].

_ محمد إقبال عروي: "التفسير الموضوعي منهجٌ في تناول الموضوع القرآني حسب مقاصده المعتبرة، من خلال استقراء الآيات الواردة فيه، وفي ما يتصل به، وجمعها وتحليلها من أجل بيان دلالته المتكاملة"[2].

وذهبت بعض التعريفات إلى التركيز على ماهية هذا التفسير بشكل أساسي، وهي الكشف الكلي عن مراد الله تعالى في المواضيع القرآنية، مع الإشارة إلى غاية هذا التفسير ومقصده في بعض الحالات، وتجاهلها في حالات أخرى، نذكر على سبيل المثال:

_ عبد الجليل عبد الرحيم: "المنهج الذي يتخذه المفسِّر سبيلاً للكشف عن مُراد الله من خلال المواضيع التي يطرحها والقضايا التي يعالجها، توضيحاً لهداية القرآن وتجليةً لوجه إعجازه".[3]

_سليمان الدقور: "منهج تفسيري يبحث في القرآن الكريم بقصد تركيب صورة قرآنية شاملة حول موضوع ما من الموضوعات التي طرقها القرآن الكريم، سواء أكان ذلك لإبرازها في ذاتها، أم لمعالجتها في الواقع"[4].

_سامر رشواني: "الكشف الكلي عن مُراد الله عزّ وجلّ في قضيةٍ قرآنية بحسب الطاقة البشرية"[5].

---

[1] **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، عبد الستار فتح الله السعيد، 20.

[2] **المرتكزات المنهجية والأصولية للتفسير الموضوعي**، محمد إقبال عروي، ص 9، وهو بحث مقدم إلى مؤتمر "التفسير الموضوعي: واقع وآفاق" الذي عُقد في كلية الشريعة، جامعة الشارقة، عام 2010م.

[3] **التفسير الموضوعي بين دفتي الميزان**، عبد الجليل عبد الرحيم، 1992، 24.

[4] **التفسير الموضوعي: إشكالية المفهوم والمنهج**، سليمان الدقور، بحث مقدم إلى مؤتمر "التفسير الموضوعي: واقع وآفاق" الذي عُقد في كلية الشريعة، جامعة الشارقة، عام 2010م.

[5] **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية**، سامر رشواني، 45.

وقامت بعض التعريفات بالتطرق إلى أنواع التفسير الموضوعي، مع بيان الغاية منه في بعض الأحيان حسب ما يرى أصحاب هذه التعريفات، مثل:

_ مصطفى مسلم: "علمٌ يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[1].

_ أحمد رحماني: "منهجٌ مستحدث في دراسة القرآن، يستهدف سبر أغوار الموضوعات المختلفة من خلال تفسير آيات سور القرآن باعتبارها كلاً موحَّداً يعبِّر عن موضوع واحد، أو من خلال تفسير آيات جُمعت لبناء موضوع تشكّل الآيات عناصره الأساسية، والغرض فيهما هو الخروج بتصور سليم حول الموضوع أو نظرية علمية فيه"[2].

_ وله أيضاً: "هو منهج ينهض بتفسير الآيات المتضافرة على إبراز خصائص موضوع محدد في القرآن كله، أو في السورة منه مركزاً ومعبراً عن قضية محددة تتبلور عنها نظرية في قضية من قضايا الحياة أو تصور عن أمر من أمور الكون والملكوت"[3].

حيث أشارت هذه التعريفات بنسبة متفاوتة إلى النوعين الرئيسين المكونين للتفسير الموضوعي وهما تفسير موضوع واحد من خلال كامل القرآن الكريم، أو سورة منه، أو التفسير الموضوعي الكلي لسورة واحدة، مع انتباه رحماني في تعريفيه إلى الغاية أو الثمرة العلمية المنتظرة من ممارسة هذا النوع من التفسير.

وقد ركّز بعض العلماء في تعريفهم على الغاية المقصودة من هذا النوع التفسيري. من هذه التعاريف نذكر تعريف محمد هادي معرفة، حيث ذهب إلى أنه يمكن "تحديد التفسير الموضوعي بأنه البحث وراء الحصول على نظريات قرآنية ذات محورية خاصة بمواضيع تمس جوانب الحياة الفكرية الثقافية والاجتماعية .. بحثاً من زاوية قرآنية للخروج بنظرية

[1] **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، 16.

[2] **مصادر التفسير الموضوعي**، أحمد رحماني، 55.

3 **التفسير الموضوعي: نظرية وتطبيقاً**، أحمد رحماني، 48.

قرآنية بشأن تلك المواضيع.. فهي مسائل ودلالات ذات صبغة قرآنية بحتة.. واستنتاجات مستحصلة من ذات القرآن ومن داخله بالذات"[1].

في ضوء التعاريف السابقة، وفي محاولةٍ للاستفادة منها، وتطويرها في الوقت نفسه حتى يكون التعريف أكثر وضوحاً وضبطاً وشمولاً، فإني أقترح التعريف التالي للتفسير الموضوعي:

"المنهج الذي يؤدي إلى الكشف الكلي عن مراد الله سبحانه في قضيةٍ قرآنية لمعرفة النسق الفكري الضابط لها، أو الذي يؤدي إلى اكتشاف الانسجام الموضوعي والنصي في سورةٍ قرآنية من أجل تفسيرها في ضوء هذه الانسجام حسب الطاقة الإنسانية"[2].

وتجب الإشارة إلى أن التفسير الموضوعي على مستوى المنهج، وعلى مستوى المضمون والنتائج هو أمر اجتهادي خاضعٌ للمراجعة والنقد والتعديل وصولاً إلى المنهج والمعاني الأقرب إلى الصواب، وهذا الأمر يقتضي المثابرة في البحث العلمي الدؤوب على المستوى النظري والتطبيقي في كافة ميادين التفسير الموضوعي، فضلاً عن ضرورة تحري الإخلاص لله تعالى، والنزاهة العلمية.

المطلب السادس: أنواع التفسير الموضوعي

يمكن تقسيم أنواع التفسير الموضوعي إلى قسمين رئيسين هما: التفسير الكلي للموضوعات القرآنية، والتفسير الكلي للسور القرآنية[3]. ويندرج تحت كل قسم منهما أنواع جزئية عديدة.

---

1 **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، محمد هادي معرفة، 1037/2.

2 لقد تم التركيز في هذا التعريف المقترح على ماهية التفسير الموضوعي وقسميه الأساسين بدقة ووضوح، حيث أشار إلى أنه منهج علمي يبتغي الكشف الكلي عن الموضوعات والسور القرآنية على السواء، هذا من جهة، وأشار من جهة أخرى إلى الغاية منه، حيث جعل القصد منه وثمرته العملية تتجسد في تفسير آيات الموضوع القرآني الواحد، أو آيات السورة القرآنية الواحدة في ضوء نتائج الكشف عن النسق والوحدة الكلية الضابطة لهما.

3 ذهب فريق من الباحثين المعاصرين إلى أن دراسة المصطلحات والمفاهيم القرآنية تشكل نوعا ثالثاً مستقلاً بنفسه. نذكر من بين أسماء هؤلاء الباحثين الذين تبنوا هذا التقسيم الثلاثي، مصطفى مسلم في كتابه "مباحث في التفسير الموضوعي"، وصلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.

أولاً: أنواع التفسير الكلي للموضوعات القرآنية:

يمكن تحديد أنواع التفسير الكلي للموضوعات في القرآن الكريم من حيث **طبيعة الموضوع المدروس ومداه** إلى الأنواع التالية:

_ اقتصر بعض العلماء على نوعه الرئيس أي التفسير الذي يتناول **موضوعا قرآنياً واحداً** سواء أكان موضوعا قرآنياً منفرداً موجوداً في أكثر من سورة قرآنية [1]، أو موضوعاً ما في حدود سورة واحدة[2].

_ تناول بعضهم **موضوعاً قرآنياً مركباً** من أكثر من موضوع واحد على مستوى كامل النص القرآني[3].

_ درس بعضُهم **مواضيع قرآنية متعددة** من حيث علاقاتُها، وتفاعلها وتلاحمها بعضها مع بعض[4].

[1] مثل بحث "المكر في القرآن الكريم" في كتاب "منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" لـ زياد خليل الدغامين. وبحث مصطفى مسلم "الألوهية من خلال آيات القرآن الكريم" الذي أدرجه في كتابه "مباحث في التفسير الموضوعي".

[2] مثل كتاب "المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء" لـ محمد محمد المدني. و"المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان"، لـ مصطفى مسلم.

[3] مثل الذي فعله محمد باقر الصدر في بحثه "عناصر المجتمع في القرآن الكريم"، الذي أدرجه في كتابه "المدرسة القرآنية". وكتاب محمد عبد الله دراز "دستور الأخلاق في القرآن"؛ وكتاب الباحث الباكستاني داود رهبر، "إله العدل: دراسة في المذهب الأخلاقي للقرآن" (God of Justice: A study in the ethical doctrine of the Quran, by Daud Rahbar).

[4] مثل كتاب "السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم" لـ مجدي عاشور. وانظر جهود الباحث الياباني توشيهيكو إيزوتسو في كتابيه "الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، و"البنية الأخلاقية والدينية للقرآن" وقد ترجم الكتابين عن الإنكليزية عيسى علي العاكوب.

_ وأضاف بعضُهم النوع الذي يعتني بدراسة **المصطلحات والمفاهيم القرآنية** كلٍّ على حدة[1].

_ وذهب بعضُهم إلى دراسة بعض **المحاور والقضايا القرآنية** الكبرى ضمن شبكة دلالية ومفهومية موحّدة تنتشر في كامل نسيج النص القرآني[2].

_ وقد حاول بعض المفسرين المعاصرين تقديم **تفسير موضوعي كامل لكل القرآن الكريم** بعد ضمّ المواضيع القرآنية الكبرى بعضها إلى بعض في محاور قرآنية كبرى حسب ما يرى المفسِّر[3].

_ ويمكن أن نضيف إلى هذه الأنواع أيضاً، **التفسير الذي يحافظ على الترتيب العثماني** للآيات القرآنية ويفسرها وفق المنهج التحليلي، ولكن المفسِّر عندما يرى، أثناء عمله

---

[1] انظر، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، صلاح الخالدي، 52_54، 62_68، وقد ناقش مصطلح "الجهل" في القرآن الكريم (85_185). وانظر، كتاب "مصطلحات قرآنية" لصالح عضيمة. وانظر كذلك كتاب "مفاهيم قرآنية"، لمحمد أحمد خلف الله. وفي هذا السياق نلفت الانتباه إلى الجهود العلمية الكبيرة التي يبذلها الشاهد البوشيخي رائد الدراسات المصطلحية في العالم الإسلامي، وصاحب الدعوة إلى "معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة"، راجع كتابه الجامع لمشروعه المصطلحي "دراسات مصطلحية". وتأتي في هذا السياق سلسلة الكتب المنهجية والقيمة التي أصدرها عبد الرحمن حللي تحت اسم "مفهومات قرآنية"، وكذلك جهود فريدة زمرد النظرية والتطبيقية، وبخاصة كتابها "مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف".

[2] مثل الذي فعله محمد الغزالي في كتابه: "المحاور الخمسة في القرآن"، والباحث الباكستاني فضل الرحمن في كتابه: " القضايا الكبرى في القرآن"، (Major themes of the Quran). حيث ناقش القضايا التالية: "الله سبحانه، الإنسان بوصفه فرداً، الإنسان في المجتمع، الطبيعة، النبوة والوحي، الأخرويات، الشيطان والشر، انبثاق الأمة الإسلامية".

[3] نذكر من بين هذه المحاولات، تفسير "نفحات القرآن: أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" لـ ناصر مكارم الشيرازي بمعاونة مجموعة من العلماء والباحثين. وقد صدر هذا التفسير في مدينة قم، في عشرة أجزاء في عام 1426هـ، حيث وزع الشيرازي كل آيات القرآن الكريم وفق المحاور التالية "العلم والمعرفة، معرفة الله ، معرفة صفات وجمال الله سبحانه، المعاد، النبوة العامة، النبوة الخاصة، الولاية والإمامة، الحكومة"، ومن ثم قام بتفسيرها حسب مجموعة من المواضيع الجزئية التي تستوعب كل جزئيات هذه المحاور الكبرى. وقد سبق الشيخَ الشيرازي في هذا الصدد جعفرُ سبحاني في تفسيره الكبير "مفاهيم القرآن" تناول فيه القضايا التالية "التوحيد والشرك، الحكومة الإسلامية، الأسماء والصفات، النبوة العامة والخاصة، السيرة النبوية". صدر هذا التفسير في قم في عشرة أجزاء في عام 1420هـ. وقد نشر عبد الله جواد الآملي، وهو من طلاب ناصر مكارم الشيرازي تفسيراً موضوعياً كاملاً، باللغة الفارسية يحمل اسم "تفسير موضوعي للقرآن المجيد".

التفسيري، موضوعاً يحتاج إلى بسط وتوضيح، يقوم بالتوقف عنده، وتفسيره وفق المنهج الموضوعي[1].

ثانياً: أنواع التفسير الكلي للسورة القرآنية:

_ ذهب باحثون ومفسرون إلى دراسة الوحدة الموضوعية والنصية في سورة واحدة وتفسيرها في ضوئه[2].

_ وقام باحثون آخرون بدراسة الوحدة الموضوعية والنصية بين أكثر من سورة أو بين كل سور القرآن دفعة واحدة مع تفسيرها في ضوء هذه الوحدة[3].

_ وقام بعض المفسرين بتفسير القرآن الكريم بشكل كامل وفق المنهج التحليلي لكنهم أثناء عملهم اجتهدوا في **الكشف عن الوحدة الموضوعية للسور القرآنية**، واستفادوا من هذه الوحدة في تفاسيرهم بطرق تختلف من مفسِّر إلى آخر[4].

وفي الحقيقة، فإنه يمكن لنا أن نُدخل كل هذه الأنواع في حقل التفسير الموضوعي، وربما أنواع أخرى قد يصل إليها الباحثون في المستقبل، بشرط أن نضمن وجود المحدِّد والضابط الرئيس لمفهوم التفسير الموضوعي فيها، أي: أن يكون الهدف من العملية التفسيرية برمتها

---

[1] كما فعل رشيد رضا في تفسيره "المنار،" ومحمد حسين الطباطبائي في تفسيره "الميزان".

[2] مثل الذي فعله المفسر الهندي عبد الحميد الفراهي (ت1930م) في تفسيره لعدة سورة قرآنية، وهي: الفاتحة، الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون. وكذلك الباحث الهندي محمد عناية الله أسد سبحاني في كتابه "البرهان في نظام القرآن"، حيث درس الوحدة الموضوعية والنصية في سور الفاتحة والبقرة وآل عمران. وكذلك الباحثان الإيرانيان محمد باقر حجتي، وعبد الكريم بي آزار شيرازي في تفسيرهما باللغة الفارسية "الكاشف: معالم صيغة متوازنة لسور القرآن والعلاقة بين الآيات".

[3] كما فعل المفسر الباكستاني أمين أحسن إصلاحي (ت 1997م) في تفسيره "تدبر القرآن" الذي صدر في تسعة مجلدات باللغة الأوردية، وقد صدرت منه عدة أجزاء مترجمةً إلى اللغة الإنكليزية منذ العقد الأخير في القرن الماضي. ويمكن أن ندرج في هذا السياق المشروع العلمي الكبير الذي تبنته جامعة الشارقة، وقام به مجموعة كبيرة من العلماء والباحثين بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، وقد حمل عنوان "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم" في عشرة مجلدات، وصدر عام 2010م.

[4] من هؤلاء المفسرين محمد عزة دروزة في تفسيره "التفسير الحديث"، ومحمد حسين الطباطبائي في تفسيره "الميزان في تفسير القرآن"، وسيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن".

هو: **الكشف عن القضايا القرآنية الفرعية على مستوى الموضوع الكلي في كامل القرآن الكريم، أو في سورة واحدة منه أو أكثر لتركيبها بصورة ما من أجل الوصول إلى النسق الفكري الكلي المهيمن على هذا الموضوع أو على هذه السورة أو هذه السور مجتمعة.**

فإذا حققت هذه الأنواع هذا الهدف فهي تدخل في ماهية التفسير الموضوعي وإلا فلا.

المطلب السابع: الفرق بين التفسير الموضوعي وبين التفسير التحليلي/التجزيئي

إذا أردنا أن ندقق النظر في العناصر المكونة للتفسير الذي يعتمد المنهج الموضوعي الكلي، والتفسير الذي يعتمد على المنهج التحليلي التجزيئي[1]، فإننا سنقف على الفرق الجوهري التالي، وهو أنه إذا كان **التفسير التحليلي/ التجزيئي** بكل أنواعه **يسعى في جوهره للكشف عن مُرادات الله تعالى الجزئية المستمدة من الآيات القرآنية حسب ترتيبها في المصحف العثماني، فإن التفسير الموضوعي يسعى إلى الكشف عن مُراد الله الكلي في موضوع قرآني واحد، أو في سورة قرآنية واحدة، أو أكثر ليصل إلى اكتشاف المركب النظري الشامل لهذا الموضوع[2]؛ أو يسعى للكشف عن الوحدة النصية والموضوعية في سورة واحدة أو في عدة سور، وتفسيرها في ضوئها.**

ويترتب على هذا الفرق الجوهري بعض الاختلاف في بعض مصادر وأدوات وأصول التفسير في كل منهج.

من حيث المصادر، تزيد في التفسير التحليلي/التجزيئي نسبةُ الاعتماد على السنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين على نسبة التعويل عليهم في التفسير الموضوعي الذي يعتمد

---

[1] يمكن تعريف منهج التفسير التحليلي/التجزيئي بأنه "**المنهج التفسيري الذي يسعى للكشف عن المعاني الجزئية المرادة من كلام الله تعالى في القرآن الكريم وفق ترتيب الآيات والسور في المصحف العثماني باستثمار مجموعة محددة من الأصول والأدوات التفسيرية حسب الطاقة الإنسانية**".

[2] يقول محمد باقر الصدر: "إن التفسير الموضوعي يتجاوز التفسير التجزيئي خطوة، لأن التفسير التجزيئي يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، بينما التفسير الموضوعي يتطلع إلى ما هو أوسع من ذلك، حيث نجده يحاول أن يصل إلى مركب نظري يحتل في إطاره كلُّ واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب، وهذا ما نسميه بلغة اليوم بالنظرية "، **السنن التاريخية في القرآن**، محمد باقر الصدر، بعناية محمد جعفر شمس الدين، 36.

أساساً على النسيج النصي والموضوعي الداخلي للنص القرآني دون التفريط بالاستفادة العلمية من السنة النبوية، وأقوال الصحابة بشكل رئيس في بيان السياق والمقام الذي نزل في ضوئه القرآن الكريم، فضلاً عن دورهما في تحديد دلالات المفردات، والتراكيب القرآنية والمراد منها.

وأما من حيث الأدوات والأصول فإن التفسير الموضوعي يستخدم أداة السياق النصي والخارجي وعلاقات السبك الصوتي والمعجمي والنحوي والتركيبي، وعلاقات التماسك والانسجام الموضوعي بين الآيات والمعاني القرآنية، أكثر من استخدامهم في التفسير التجزيئي الذي يعتني بدوره أكثر بأسباب النزول، والإعراب، والقراءات .. من اعتناء التفسير الموضوعي بهم[1].

هذا فضلاً عن حاجة المفسِّر الموضوعي للاطلاع على العصر وعلومه وثقافته أكثر من حاجة المفسِّر التجزيئي الذي قد يُقبَل منه أن يُفسِّرَ النصَّ القرآني دون العودة المباشرة إلى العصر الحديث وثقافته، وهمومه التاريخية، ومشاغله المعرفية، في حين أن المفسِّر الموضوعي إذا أقدم على عمله التفسيري دون الاطلاع الكافي على سياقه التاريخي والمعرفي فلن يتمكن من تحقيق أحد أهم أهدافه الكبرى، أي معالجة مشاكل العصر في ضوء القرآن الكريم وهديه الرباني.

على الرغم من وجود وجوه الاختلاف السابقة إلا أننا نؤكد تقاطع هذين المنهجين التفسيريين في المصادر والأصول والأدوات، وخصوصاً على مستوى الأخذ بقاعدة (القرآن يفسِّر بعضُه بعضاً)، وبهذا ننبه إلى عدم إمكانية الاستغناء عن أحدهما لصالح الآخر بل يجب السعي إلى تكاملهما، وإثراء أحدهما من خلال الآخر.

المطلب الثامن: أهمية التفسير الموضوعي، ومدى الحاجة إليه في العصر الحديث:

1. لعل أهم فائدة للتفسير الموضوعي هي رفع ما يتبادر من علامات التعارض الظاهري بين آيات تتناول قضية أو موضوعاً واحداً مثل (الجبر والاختيار،

[1] قارن بـ: **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، 52_54.

الضـلال والهدايـة، الشفاعة، الجهـاد والقتـال)[1]، وذلـك لأننـا عنـدما نقوم باسـتقراء وجمـع كـل الآيـات المتعلقـة بمثـل هـذه القضـايا، وتحليلهـا ودراسـتها وفـق مـنهج التفسير الموضوعي فإن المفسِّر سيتمكن من تفسير وإزالة كل أشكال الاختلاف الظـاهري بينهـا مـن خـلال تفسيره لكـل آيـة فـي ضـوء سياقها ومقامهـا الخاصـين، وفـي ضـوء النسـق الكلـي الذي تنتمـي إليـه آخذاً بعين الاعتبار قاعدة "وجوب رد الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة"[2]، وفهم القضايا الجزئية والفرعية في ضوء القضـايا الكليـة. ويترتـب علـى حلّ هذه القضـايا الإشكالية فـي ضـوء هذا المنهج رفـع الخـلاف بـين الفِرَق والمـذاهب الإسـلامية التـي رفعتْ الحـواجز بينهـا بسـبب فهومها الخاصـة لهذه الآيات. وبهذه الطريقة يتمُّ فتح الطريق أمام استعادة العقل الإسلامي وَحدتَه الداخلية، التي تتوقف عليها وحدة المجتمعات الإسلامية.

2. مواجهـة التفتيـت المتعمـد للخطـاب القرآنـي للقيـام بعمليـة إعطـاء المشـروعية الدينيــة للمشــاريع الإيديولوجيــة والمذهبيــة التــي تهــدف للســيطرة علــى الأفــراد والجماعات والمؤسسات في المجتمعات الإسلامية، من خلال الاستدلال بآيات مفردة مقطوعـة عن شبكتها الدلاليـة المتكاملـة، وتوظيفها لـدعم هذا المـذهب أو ذاك، ولدعم هذه الإيديولوجية في وجه منافسيها.

3. معرفة الأنساق الفكرية الكلية الحاكمة لكلّ المفاهيم القرآنية التي تشكّل شبكة مفهوميـة متواشـجة تعمـل علـى صـياغة العقـل الإسـلامي، وتـزوده بكـل الأدوات المعرفيـة والمنهجيـة الهاديـة للمسـلم فـي مفاصـل علاقاتـه الفرديـة والمجتمعيـة، ودوائر عمله في كل طيّات وجوده.

---

[1] انظر، **القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه .. والطريقة المثلى لفهمه وتفسيره**، محمد عزة دروزة، 251_259.

[2] هذه القاعدة مستمدة من قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} آل عمران، 7.

4. الوصول إلى شبكة المفاهيم والنظريات والمبادئ الكلية للقرآن الكريم التي يجب اعتمادها بوصفها معايير نقدية ضابطة لكل الأفكار، والأحكام الفرعية والجزئية المنضوية تحتها، بل يمكن أيضا أن تشكِّل معياراً لكل الفهوم والتوجهات الكلية المتعلقة بهذه القضية أو تلك من قضايا العقل، والواقع الإسلامي المعاصر (قضايا المرأة، الحكم، العنف، الديمقراطية، حقوق الإنسان، البيئة، العدل الاجتماعي ...).

5. تقديم الإجابة القرآنية النظرية الصريحة والمتكاملة لكل تساؤلات المجتمعات الإسلامية، ومشاغل الفكر الإسلامي الحديث، بل وأسئلة العقل الإنساني المعاصر، وتقديم الحلول الناجعة لكل همومه الفردية والمجتمعية والعالمية في كافة صُعُد عمله.

6. يمكن لهذا النوع من الدراسات القرآنية بسبب طبيعته النظرية الكلية، ذات الأبعاد الفلسفية العميقة، والمكتوب بلغة واضحة وأسلوب منهجي حديث، أن يخاطب أكبر شريحة ممكنة من المسلمين وغير المسلمين، من المتخصصين وغير المتخصصين بالعلوم الإسلامية. وكذلك يمكن للمثقفين الذين لا يملكون الاطلاع المسبق على الإسلام أن يتعاملوا مع هذا النوع من الدراسات القرآنية، وبخاصة إذا تمَّ ترجمتها إلى اللغات العالمية، وبشكل خاص إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية.

7. تسهم دراسةُ موضوع قرآني واحد، بعد استقرائه بشكل تام أو شبه تام، في فهم نشأته وتطوره ونضجه وامتداداته، وهذا الأمر يساعد المؤرخين على إعادة تقويم محاولاتهم في الترتيب التاريخي لسور القرآن الكريم وآياته، وبالتالي يساعدنا أكثر على فهم مسار الدعوة الإسلامية، وكل هذا يصبُّ في نهاية المطاف في فهم القرآن الكريم أكثر فأكثر.

8. تسهم دراسة الوحدة النصية والموضوعية للسور القرآنية في استمداد المزيد من المعاني القرآنية التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق دراسات العلاقات النصية الموضوعية الناظمة للسور القرآنية، فضلاً عن أن اكتشاف وحدة السورة، وتحديد عمودها الموضوعي الذي تدور حوله كل آياتها، يسهم في توفير معيار علمي دقيق للترجيح بين المعاني المحتملة لآيات السور، وتحديد المعنى الأرجح الذي ينسجم مع عمودها الكلي الخاص بها[1].

9. يؤدي تفسير السورة في ضوء وحدتها النصية والموضوعية إلى رد الشبهات والاتهامات الباطلة التي يوجهها الذين يزعمون أنّ القرآن الكريم نصٌ مفكّك، غير منسجم الأجزاء، مستعص على الفهم والتحليل والتفسير.

المطلب التاسع: شروط ومؤهلات المفسّر المشتغل بالتفسير الموضوعي:

لكلِّ نوع تفسيري شروطٌ ومتطلبات ومؤهلات معرفية خاصة يقتضيها منهجه وغايته. ولما كان التفسير الموضوعي من حيث المنهج **يهدف إلى معرفة أنساق القرآن ومقاصده الكلية** في كافة القضايا العقدية والتشريعية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والفكرية التي خاطب الله تعالى بها الإنسان لإخراجه من الظلمات إلى النور في كافة وجوه ومستويات حياته في الدنيا والآخرة. ومن حيث الغاية يسعى، في قسمه الأول (التفسير الكلي للموضوعات القرآنية) إلى التعرف على **المنهج والعطاء القرآني في حلّ مشكلات الإنسان المعاصر**، والإجابة عن أسئلته المعرفية والتاريخية. ويجتهد، في قسمه الثاني (التفسير الكلي للسور القرآنية) في **اكتشاف الوحدة النصية والموضوعية في السور** القرآنية من أجل محاولة تفسيرها في ضوء هذه الوحدة، والوصول إلى معانٍ لا يمكن الوصول إليها إلا بعد اكتشاف هذه الوحدة؛ فإنّ على المفسِّر الموضوعي أن

[1] انظر، **دلائل النظام**، حميد الدين الفراهي، 16 وما بعدها.

يمتلك، بالإضافة إلى الشروط والمؤهلات المطلوبة في المفسر التحليلي/التجزيئي[1]، مؤهلاتٍ ضرورية لا يستطيع من دونها الوفاء بمقتضيات منهجه، ولا بالغاية التي يسعى إليها من خلال اختياره للعمل في هذا النوع التفسيري.

لعل أهم هذه الشروط والمؤهلات العلمية الخاصة[2]، ما يلي:

1. القدرة على الاستفادة من العلوم التي تساعدنا على فهم الموضوعات التي عالجها القرآن الكريم في عصر التنزيل (السيرة النبوية، علم التاريخ، تاريخ الأديان، علم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا).
2. الاطلاع قدر الإمكان على حاضر العالم الإسلامي في كل وجوهه التاريخية والمعرفية والسياسية والاجتماعية، والاطلاع على تاريخ الفكر الإسلامي الحديث وقضاياه الدينية والسياسية والاجتماعية.
3. الاطلاع قدر الإمكان على تاريخ العالم الحديث والمعاصر، وفهم واقعه وأبرز قضاياه ومشكلاته السياسية والاجتماعية، والاطلاع قدر الإمكان على تاريخ الفكر الحديث، ومكتسباته المنهجية والمفهومية والمعرفية، بطريقة علمية نقدية.
4. الاطلاع قدر الإمكان على الثقافة الفلسفية، وقضايا المنهجية في البحث العلمي التي تساعد المفسِّر على الفهم العميق والصياغة الدقيقة للمشكلات والقضايا التي يريد معالجتها في ضوء التفسير الموضوعي.
5. الاطلاع قدر الإمكان على العلوم اللغوية الحديثة التي تتعامل مع النص بوصفه خطاباً متجانسا موحّداً، وأشير هنا بشكل خاص إلى علوم الدلالة[1]،

---

[1] من أجل الوقوف على الشروط والمؤهلات العلمية المطلوبة في المفسر التجزيئي، والتي يحتاجها أيضاً المفسِّر الموضوعي، ولا يمكنه الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال؛ انظر، **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، تحقيق مصطفى ديب البغا، 2/1209_1212.

[2] يجب تحصيل المؤهلات العلمية بعد استكمال المؤهلات الدينية والنفسية والأخلاقية التي يقف على رأسها: الإخلاص لله تعالى وللعلم والحقيقة، النزاهة، الموضوعية، الثبات والاستمرارية، الملكة النقدية، والتطوير المستمر للذات.

والتخاطب[2]، والحجاج[3]، ولسانيات النص[4] من أجل توظيفها في فهم الوحدة النصية والموضوعية للخطاب القرآني، فضلاً عن مساعدتها في فهم السياق اللغوي والتاريخي والثقافي له.

لا شكّ في أن استكمال هذه المؤهلات، وتحقيق هذه الشروط يحتاج إلى إعادة النظر في مؤسسات تعليم العلوم الشرعية، والمؤسسات المعنية بالدراسات الإسلامية على كافة المستويات، ما قبل التعليم الجامعي وما بعده، لأنها بوضعها الحالي (في معظمها، ولا أقول جميعها) من حيث رؤيتها لدورها الديني والعلمي، ومن حيث مناهجها، ومستوى التكوين الأكاديمي لهيئاتها التعليمية، والخلفية المنهجية والمعرفية لطلابها وباحثيها لا يمكن لها أن تضطلع وحدها بتكوين هذا النوع من المفسِّرين الجدد.

---

[1] **علم الدلالة** (semantics): هو العلم الذي يعتني في الأصل بتحليل المعنى الحرفي للألفاظ اللغوية ووصفها، ولكن مباحثه لا تقتصر الآن على الجوانب المعجمية من معاني الكلمات فقط، بل تشمل أيضا معاني الجمل والجوانب القواعدية. انظر، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، محمد محمد يونس علي، 11_13.

[2] **علم التخاطب/التداولية** (Pragmatics): دراسة كيف يكون للقولات، (التي هي عبارة عن تجليات فعلية وتحققات وتجسُّدات عملية للجُمل اللغوية المجردة في الكلام الفعلي)، معانٍ في المقامات التخاطبية (المخاطِب، المخاطَب، ظروف الخطاب وسياقه الخارجي، المقاصد والأهداف). أي دراسة المعنى تتمّ مع الأخذ بعين الاعتبار أثر العناصر التخاطبية الخارجة عن البنية اللغوية للقول في إنتاج المعنى. انظر، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، محمد محمد يونس علي، 13_16.

[3] يعني **علم الحجاج** في سياق الدراسات اللغوية الحديثة: دراسة مجمل الأساليب البيانية التي تؤدي إلى إذعان السامع أو القارئ، أو تغيير فكره وسلوكه حسب مقتضى الخطاب الذي يسمعه أو يقرؤه. وهذا النوع من الدراسات اللغوية يمكن أن نستفيد منه في دراسة نص القرآن الكريم بوصفه خطاباً لأن الخطاب في أعم مفاهيمه هو: "كل قول يفترض متكلماً وسامعاً مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع"، والقرآن الكريم كما معلوم هو خطابٌ من الله تعالى لعباده يأمرهم وينهاهم فيه صراحة وضمناً، ويتفاعل معهم بصور شتى، ويسعى في نهاية الأمر إلى تغيير تصوراتهم وسلوكهم، كما نصّ القرآن الكريم على ذلك بقوله: {الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} إبراهيم،1. انظر، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، عبد الله صولة، 8_48.

[4] **لسانيات النص**: هو العلم الذي يدرس النص اللغوي بوصفه وحدة لغوية متماسكة على مستوى البنية اللغوية الخارجية المعجمية والنحوية، وعلى مستوى البنية الدلالية الداخلية، أي مستوى الترابط المفاهيمي بين أجزاء النص مع الأخذ بعين الاعتبار أثر المقام الخارجي في إنتاج المعنى. انظر، **بلاغة النص: مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، جميل عبد المجيد، 15_18.

الخاتمة:

يمكن لنا، في ضوء ما سبق، أن نقول إن منهج التفسير الموضوعي أتى في سياق التفاعل العلمي الرشيد للعقل الإسلامي مع المتغيرات والتحديات التاريخية والمعرفية التي شهدها العالم الإسلامي في داخله وفي خارجه في مطلع العصر الحديث، وما زال يشهدها حتى اليوم؛ وإن نجاح هذا المنهج وقدرته على تحقيق المقاصد الدينية والعلمية والإصلاحية المنوطة به متوقفٌ على شروط عديدة يأتي في مقدمتها الضبط الدلالي للمفاهيم الأساسية المكونة لمجاله المعرفي، مع ضبط أهم القضايا العلمية التي تزيد هذا المنهج وضوحا وتميزاً عن غيره من المقاربات التفسيرية، مع بيان أنواعه الأساسية، وأهم منطلقاته المعرفية، وبيان مدى الحاجة إليه، والمقاصد والغايات المرجوة منه، فضلاً عن الشروط والمؤهلات العلمية الجديدة الواجب على المشتغلين في هذا الميدان اكتسابُها من أجل إعطاء هذا المنهج حقوقه ومقتضياته العلمية، وتوظيفه بشكل علمي فعّال في السياق الإسلامي المعاصر. هذا ما اجتهد هذا البحث في تحقيقه، وقدّم هذه المحاولة التي تأمل أن تكون قد تقدمت ولو خطوة واحدة على طريق إنضاج الدراسات المتعلقة بالتفسير الموضوعي التي مازالت تنتظر الكثير الكثير حتى تستوي على سوقها وتؤتي أُكُلَها الطيب إن شاء الله تعالى.

وأخيراً **يوصي** البحث القائمينَ على بناء المناهج والتكوين العلمي للطلاب والباحثين في الجامعات والمؤسسات التعليمية والبحثية الإسلامية أن يزيدوا من درجة عنايتهم بمقرر التفسير الموضوعي والبحوث المتعلقة به، وأن يحرصوا على دمج هذا المقرر في المرحلة الجامعية الأولى، فضلاً عن زيادة الاهتمام به في الدراسات العليا، وأن يدرجوا مقررات تعليمية مساعدة تضمن اطلاع طلابها وباحثيها بقدر كاف على العلوم الإنسانية والاجتماعية الضرورية للانخراط الجاد في ميدان التفسير الموضوعي.

المراجع:

أولاً: المؤلفات باللغة العربية:

_ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1420هـ/1999م). تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع.

_ ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل محمد بن مكرم (1414هـ). لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.

_ ابن حيان الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (1420هـ). البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر.

_ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، دمشق، دار القلم.

_ بدوي، عبد الرحمن. (1977م). مناهج البحث العلمي، ط3، الكويت، وكالة المطبوعات.

_ الترمذي، محمد بن عيسى (1998م). سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

_ الجبري، عبد المتعال (1984م). الضالون كما صوّرهم القرآن الكريم، القاهرة مكتبة وهبة.

_ الجبلاوي، آمنة (2006م). الاستشراق الأنجلوسكسوني الجديد، مقالة في الإسلام "المبكر": باتريسيا كرون ومايكل كوك أنموذجاً، ط1، تونس، دار المعرفة للنشر.

_ الخالدي، صلاح عبد الفتاح (1997م). التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط1، عمان، دار النفائس.

_ الخولي، أمين. (1995م). مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

_ دروزة، محمد عزة. (د.ت). القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه والطريقة المثلى لفهمه وتفسيره، منشورات المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، د. ت.

_ الدغامين، زياد خليل. (1995م). منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط1، عمّان، دار البشير.

_ الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس. (1399هـ/1979م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق، دار الفكر.

_ رحماني، أحمد. (1998م). التفسير الموضوعي: نظرية وتطبيقاً، ط1، منشورات جامعة باتنة، الجزائر.

_ رحماني، أحمد. (1998م). مصادر التفسير الموضوعي، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة.

_ رشواني، سامر. (2009م). منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، ط1، حلب، دار الملتقى.

_ الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم. (د.ت). مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، القاهرة، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

_ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (1404هـ/1984م). البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، القاهرة، دار التراث، 1404هـ/1984م.

_ سبحاني، محمد عناية الله أسد. (د.ت). إمعان النظر في ترتيب الآي والسور، عمّان، دار عمار.

_ السعيد، عبد الستار فتح الله. (1991م). المدخل إلى التفسير الموضوعي، ط2، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

_ سلامة، محمد علي. (2004م). منهج الفرقان في علوم القرآن، تحقيق محمد سيد أحمد المسير، ط2، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

_ الإتقان في علوم القرآن. (2006م). جلال الدين السيوطي، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط2، دمشق.

_ الصدر، محمد باقر. (1989م). السنن التاريخية في القرآن، بعناية محمد جعفر شمس الدين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، 1989م.

_ صولة، عبد الله. (2007م). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، بيروت، دار الفارابي.

_الطاهري، محمد الهادي. (2016م). أضواء على النص القرآني، ط1، بيروت، دار الانتشار العربي، 2016م.

_ عبد الرحيم، عبد الجليل. (1992م). التفسير الموضوعي بين دفتي الميزان، عمّان، د.ناشر.

_ عبد المجيد، جميل، (1999م). بلاغة النص: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، القاهرة، دار غريب.

_ عريفج، سامي، خالد مصلح، مفيد حواشين. (1999/1419م). في مناهج البحث العلمي وأساليبه، ط2، عمّان، دار مجدلاوي.

_ علي، محمد محمد يونس. (2004م). مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

_ الفراهي، عبد الحميد. (1388هـ). دلائل النظام، ط1، الهند، المطبعة الحميدية.

_ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. (د.ت). الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

_ مسلم، مصطفى. (2009م). مباحث في التفسير الموضوعي، ط7، دمشق، دار القلم.

_ معرفة، محمد هادي.(1426هـ). التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ط2، مشهد، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية.

ثانياً: البحوث والدراسات:

_ الدقور، سليمان، التفسير الموضوعي: إشكالية المفهوم والمنهج، بحث مقدم إلى مؤتمر "التفسير الموضوعي: واقع وآفاق" الذي عُقد في كلية الشريعة، جامعة الشارقة، عام 2010م.

_ عروي، محمد إقبال ، المرتكزات المنهجية والأصولية للتفسير الموضوعي، بحث مقدم إلى مؤتمر "التفسير الموضوعي: واقع وآفاق" الذي عُقد في كلية الشريعة، جامعة الشارقة، عام 2010م.

ثالثاً: المؤلفات والبحوث باللغة الإنكليزية:

- Schöller, Marco. (2004). Post-Enlightenment Academic Study of the Quran, in Encyclopaedia of the Quran, Brill, Leiden.

- Mir, Mustansir. (1986). Coherence in the Quran: A Study of Islahiʾs Concept of Nazm in Tadabbur-I Quran, Indianapolis, American Trust Publications.

- Robinson, Neal. (2003). Discovering The Quran: A contemporary Approach To A Veiled Text, 2d, London, SCM press.

-The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, (1995). Oxford University press.